ساسكيا ساسن: الاقتصاد العالمي والعمالة الهشة

تقديم:

عرف العالم في تسعينات القرن الماضي تحولات عميقة مست مجالات عدة ومنها سوق العمل، وأدت هذه التحولات إلى إعادة تنظيم أنماط الانتاج والعمل،حيث ظهرت أنماط جديدة من التشغيل غير المستقر، واتسعت دائرة العمالة الهشة، وفي خضم هذا الوضع ظهرت أعمال "ساسكيا ساسن"باعتبارها من أهم الاسهامات السوسيولوجية التي حاولت تفسير التحولات في سوق العمل وعلاقتها بالعولمة.

ومنطلقات "ساسن" أن الاقتصاد العالمي يعمل في فضاءات حضرية محددة حيث تتجمع المؤسسات الاقتصادية والمالية الكبرى، ومن ثم فإن فهم التحولات في سوق العمل يفترض تحليل البنية المكانية للاقتصاد العالمي الذي ساهم في إبراز نموذج جديد من الاستقطاب الاجتماعي يتمثل في توسيع الثغرة بين الوظائف المرتبطة بالاقتصاد المعرفي والوظائف المرتبطة بالخدمات، وهذا بدوره عزز توسيع العمالة الهشة.

وفي هذا السياق سيتم التطرق إلى أهم محاور الموضوع بما ينسجم مع رؤية ساسكيا ساسن.

أولا: التعريف بالشخصية:

تعتبر "ساسكيا ساسن" من أبرز علماء الاجتماع المعاصرين في مجال دراسات العولمة والهجرة والاقتصاد الحضري، وهي أستاذة في علم الاجتماع في جامعة كولومبيا، ولدت سنة 1949 في مدينة لاهاي بهولندا،وعاشت في عدة بلدان من بينها الأرجنتين، ايطاليا والولايات المتحدة، وهو ما أنعكس في تنوع إهتمامها الثقافي،إذ تتميز أعمالها بالطابع العابر للتخصصات، الجمع بين الاقتصاد وعلم الاجتماع،الاهتمام بسوق العمل وكذا التركيز على المدن.

أما مسارها الفكري الأكاديمي فاتضح في متابعتها للدراسات العليا في الولايات المتحدة، حيث حصلت على درجة الدكتواره، كما إشتغلت بعد ذلك في عدة جامعات منها جامعة كولومبيا وجامعة شيكاغو، وتأثرت بعدة تيارات فكرية، كالاقتصاد السياسي النقدي، نظرية النظام العالمي

في حين يمكن تقسيم مسارها البحثي إلى عدة مراحل:

- المرحلة الأولى: (فترة الثمانينيات) ركزت فيها على العلاقة بين العمل ورأس المال، وهذا ما اتضح في كتابها

حول حركة العمل ورأس المال.

- المرحلة الثانية: (فترة التسعينات) عرفت بلورة مفهوم المدينة العالمية، والذي يمثل أهم إسهماتها النظرية

-المرحلة الثالثة: (من ألفين وما بعدها) إنتقلت فيها إلى تحليل العولمة بشكل أوسع،خاصة علاقتها بالدولة والهجرة والعمل.

ومن أهم أعمالها:

- المدينة العالمية:نيويورك،لندن ،طوكيو 1991: The Global City : New York ,London ,Tokyo

- حركية العمل ورأس المال 1988 The Mobility of Labor and Capital

- المدن في الاقتصاد العالمي1994 Cities in World Economy

-الطرد:القسوة والتعقيد في الاقتصاد العالمي 2014 Expulsions : Brutality and Complexity in the Economy

مماسبق يتضح أن مشروع "ساسكيا ساسن" يرتكز على فهم العالم بوصفه شبكة مترابطة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية،حيث تلعب المدن دورا أساسيا في تنظيم هذه العلاقات،أما مؤلفاتها فتشكل أدوات تحليلية لفهم الاقتصاد العالمي خاصة فيما يتعلق بإنتاج العمالة الهشة والاستقطاب الاجتماعي، ومازالت على قيد الحياة.

ثانيا: الاطار الفكري "لأعمال ساسكيا ساسن":

يتضح السياق الفكري لأعمال لساسن في تقاطع غني بين الرأسمالية المتأخرة وتطور الحقول النظرية فب علم الاجتماع والاقتصاد السياسي ،حيث جاءت كتاباتها استجابة مباشرة لاعادة هيكلة الاقتصاد العالمي منذ سبعينات القرن العشرين، مع صعود العولمة المالية وتراجع النموذج الصناعي الكلاسيكي.

فقد تأثرت "ساسكيا "بتيارات الاقتصاد السياسي النقدي التي كشفت عن منطق التراكم الرأسمالي وعدم المساواة،كما إستفادت من أطروحات نظرية النظام العالمي التي تنظر إلى العالم كبنية مترابطة من المراكز والأطراف ،غير أنها أعادت صياغة هذه التصورات عبر تركيزها على الفضاء الحضري بوصفه موقعا ماديا لتجسد العولمة. وفي هذا السياق طورت مفهوم المدن العالمية لتبين أن العولمة لاتعني التشتت الكامل للأنشطة الاقتصادية بل العكس تؤدي إلى تركز وظائف القيادة والتنسيق داخل مدن محددة،حيث تتجمع المؤسسات المالية والخدمات المتقدمة.

كما إنخرطت في حوار نقدي مع أطروحات تراجع الدولة ،مؤكدة أن الدولة لاتختفي بل يعاد تشكيل وظائفها لتخدم متطلبات الاقتصاد العالمي خاصة عبر ساسيات تحرير الأسواق،إلى جانب ذلك استوعبت "ساسن" تحليلات سوسيولوجيا العمل والهجرة لتبرز كيف أن العولمة تنتج أنماطا جديدة من الطلب على العمالة،تتسم بالمرونة والهشاشة خصوصا في القطاعات الخدمية الدنيا ، وهكذا يتسم سياقها الفكري بكونه تركيبا نظريا يجمع بين التحليل البنيوي للعولمة،والمقاربة الحضرية، وفهم ديناميات العمل والهجرة،بما يسمح بتفسير نشوء العمالة الهشة كنتاج بنيوي لتحولات الاقتصاد العالمي.

ثالثا:الاقتصاد العالمي كإطار بنيوي للعمل الهش:

يعتبر الاقتصاد العالمي الاطا البنيوي الذي يفسر ظهور العمالة الهشة في فكر ساسن،إذ أن إعادة تنظيم الاقتصاد يؤدي بالضرورة إلى إعادة تنظيم سوق العمل، وترى ساسن أن الاقتصاد العالمي يتميز بعدة خصائص وهي: المرونة، التنقل، السرعة والشبكية، وهذه الخصائص أدت إلى ظهور أنماط جديدة من العمل تتميز بعدم الاستقرار وانخفاض الأجور.

1- مرونة العمل: أدت العولمة إلى هذا النمط، حيث أصبحت المؤسسات تعتمد على العمالة المؤقتة بدل العمالة الدائمة(ساسن،2001، ص 85) وتشمل هذه المرونة العمل المؤقت، العمل الجزئي، العمل الموسمي والعمل المستقل، غير أن هذه المرونة غالبا ماتعني فقدان الاستقرار الوظيفي.

2- تفكيك سوق العمل: ترى ساسن أن الاقتصاد العالمي أدى إلى تفكيك سوق العمل التقليدي ،حيث لم يعد العمل مرتبط بمكان محدد أو مؤسسة معينة(ساسن،2007،ص 92). وقد أدى ذلك إلى تراجع الوظائف الدائمة، زيادة العمل المؤقت ونمو الاقتصاد غير الرسمي.

3- الاستقطاب المهني: تؤكد ساسن أن الاقتصاد العالمي أدى إلى استقطاب مهني حاد،حيث تزايدت الوظائف العليا والوظائف الدنيا ؛ في حين تراجعت الوظائف الوسطى(ساسن،2001، 102). ويشمل هذا الاستقطاب –

- الوظائف العليا:المديرون، الخبراء، المحللون والمهندسون

- الوظائف الدنيا: عمال التنظيف، عمال المطاعم،عمال النقل وعمال الخدمات

وبالتالي أدى هذا الاستقطاب إلى زيادة عدم المساواة الاجتماعية

رابعا: مفهوم العمالة الهشة:

يمثل مفهوم العمالة الهشة أحد المفاهيم المركزية في تحليل ساسن للاقتصاد العالمي،إذ يعكس التحولات العميقة التي شهدها سوق العمل في ظل العولمة.

وتشير العمالة الهشة إلى العمل الذي يتميز بعدم الاستقرار وانخفاض الأجور وغياب الحماية الاجتماعية(ساسن، 2001، ص78)

- خصائص العمالة الهشة: تتميز العمالة الهشة بعدة خصائص منها:

1- عدم الاستقرار: حيث يكون العمل مؤقتا وغير مضمون

2- إنخفاض الأجور: حيث يحصل العمال على أجور منخفضة

3- غياب الحماية: حيث يفتقر العمالإلى الضمان الاجتماعي

4- ضعف التنظيم: حيث يكون العمال غير منظمين نقابيا

خامسا: المدن العالمية كمجال للعمالة الهشة:

إن اسهامات "ساسن" أعادت الاعتبار للمدينة لانها تمثل موقعا ماديا ومركزيا تدار من خلاله عمليات العولمة،إذ تتركز فيها وظائف القيادة الاقتصادية ومقار الشركات متعددة الجنسيات، والمؤسسات المالية الكبرى وهومايجعلها عقدا حيوية داخل الشبكة الاقتصادية العالمية.

غير أن التمركز تجاوز الجانب الاقتصادي ليشمل إعادة تشكيل البنية الاجتماعية داخل المدن،حيث يؤدي تركز رأس المال والخدمات المتقدمة إلى خلق طلب مزدوج على العمل، من جهة وظائف عالية التأهيل

ترتبط بالاقتصاد المعرفي، ومن جهة أخرى وظائف دنيا خدمية، وهومايفسر توسع ظاهرة العمالة الهشة داخل الفضاءات الحضرية، ومن ثم فإن المدن العالمية لاتنتج الثروة فقط بل تعيد أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي والمهني.

وعليه فإن تناول المدن العالمية كمجال للعمالة الهشة يقتضي تفكيك الأدوار المتعددة التي تضطلع بها هذه المدن داخل الاقتصاد العالمي، وفهم طبيعة العمل الذي تحتضنه وكذا تحليل النتائج الاجتماعية المترتبة عن ذلك خاصة مايتعلق بظاهرة الاستقطاب الاجتماعي، ومن هذا المنطلق سيتم التطرق إلى ثلاث قضايا وهي:

1- وظائف المدن العالمية: تقوم المدن العالمية بعدة وظائفمنها

الادارة، التمويل، الخدمات والتنسيق

2- العمالة الهشة في المدن العالمية: تظهر العمالة الهشة في المدن العالمية في عدة قطاعات:

التنظيف، المطاعم، النقل والبناء

3- الاستقطاب الاجتماعي: تؤدي المدن العالمية إلى استقطاب اجتماعي واضح ،حيث يعيش الأغنياء والفقراء في نفس المدينة ولكن في ظروف مختلفة(ساسن، 2001،ص95)

سادسا؛ الهجرة والعمالة الهشة:

قدمت ساسن تصورا عميقا للهجرة بوصفها عملية مرتبطة بالبنية الاقتصادية العالمية،حيث تنتج عن التفاوتات بين الدول، وعن إعادة توزيع الأنشطة الاقتصادية على المستوى الدولي،فالعولمة كما ترى ساسن لاتقتصر على نقل الأموال والتكنولوجيا،بل تستدعي أيضا تنقل اليد العاملة خاصة في الدول النامية نحو المراكز الاقتصادية الكبرى،حيث تتشكل أسواق عمل مزدوجة تستوعب هذه الفئات في قطاعات محددة، وتكم أهمية هذا التحليل في كونه يكشف أن الهجرة ليست اختيارا فرديا محضا،بل هي جزء كبير منها استجابة موضوعية لطلب اقتصادي مهيكل،تفرضه حاجات المدن العالمية إلى عمالة منخفضة التكلفة ومرنة وقابلة للاستبدال.

ومن هذا المنطلق تشكل العمالة المهاجرة عنصرا بنيويا داخل الاقتصاد الحضري المعولم،حيث تسهم في تشغيل قطاعات حيوية غالبا مايعزف عنها العمال المحليون، مثل الخدمات الدنيا، والبناء، والأعمال المنزلية؛ غير أن هذا الادماج يتم في شروط غير متكافئة،إذ تتسم هذه الفئة بضعف الحماية القانونية وهشاشة الوضع المهني وتعرضها لأشكال متعددة من التهميش والاستغلال،مما يجعلها تمثل نموذجا مكثفا للعمالة الهشة في صورتها الأكثر وضوحا.

وعليه فإن تحليل العلاقة بين الهجرة والعمالة يقتضي الوقوف عند طبيعة الأدوار التي يؤديها المهاجرون داخل سوق العمل من جهةوفهم أشكال الهشاشة التي تميز أوضاعهم المهنية والاجتماعية من جهة أخرى، وبناء على ذلك سيتم التطرق إلى عنصرين مترابطين وهما:(ساسن،1988، ص60)

1- وظائف المهاجرون: يعمل المهاجرون غالبا في : البناء، الخدمات،الزراعة والتنظيف

2- هشاشة العمالة:تكون العمالة المهاجرة أكثر هشاشة بسبب:

- ضعف الحماية القانونية

-انخفاض الأجور

- التمييز

سابعا، تأنيث العمل الهش:

يشكل تأنيث العمل الهش أحد أبرز التحولات البنيوية التي رافقت صعود الاقتصاد العالمي، حيث لم تعد مسألة هشاشة العلمل تفهم من خلال طبيعة العقود أو شروط التشغيل،بل أصبحت مرتبطة أيضا بالبنية الجندرية لسوق العمل، وفي هذا الطار تشير ساسن إلى أن العولمة لم تنتج فقط أنماطا جديدة من العمل،بل أعادت توزيع الأدوار المهنية على أسس جندرية،مما أدى إلى تزايد حضور النساء في قطاعات العمل غير المستقر والمنخفض الأجر.

1- تأنيث العمل الهش: يقصد به تزايد نسبة النساء في أنماط العمل التي تتسم بعدم الاستقرار ،وضعف الحماية الاجتماعية، وانخفاض الأجور، مثل العمل الجزئي والعمل المنزلي...(ساسن،2002،ص132)

2- أسباب تأنيث العمل الهش: يمكن حصر هذا العنصر في النقاط التالية

أ- التحولات الاقتصادية العالمي: أدت العولمة إلى توسع القطاع الخدمي،الذي يعتمد بدرجة كبيرة على اليد العاملة النسوية خاصة في مجالات: التنظيف، الرعاية، الخدمات المنزلية والمطاعم

ب- منطق المرونة:تفضل الشركات توظيف النساء في الأعمال الهشة لاعتبارات مرتبطة: القبول بأجور منخفضة، الاستعداد للعمل الجزئي، ضعف القدرة التفاوضية

ج- الأدوار الجندرية التقليدية: لاترزال النساء يتحملن مسؤوليات أسرية مايدفعهن إلى القبول بوظائف مرنة لكنها غير مستقرة

د-الهجرة النسوية:تشير ساسن إلى تزايد هجرة النساء للعمل في القطاعات الخدمية،خاصة في المدن العالمية وهو مايعزز تأنيث العمالة الهشة

3- مظاهر تأنيث العمل الهش: تتجلى في العناصر التالية:

أ- العمل الجزئي والمؤقت: تتركز النساء في الوظائف التي لاتوفر استقرار مهنيا

ب- العمل غير الرسمي: تعمل العديد من النساء خارج الأطر القانونية،خاصة في الاقتصاد غير الرسمي

ج- العمل المنزلي والرعائي: يمثل هذا النوع من العمل نموذجا واضحا للهشاشة،حيث يغيب التنظيم القانوني والحماية الاجتماعية"

د- انخفاض الأجور: تتقاضى النساء أجورا أقل مقارنة بالرجال في نفس القطاعات

4- الأثار الاجتماعية لتأنيث العمل الهش: يتحدد هذا العنصر في:

- تعميق عدم المساواة بين الجنسين

- زيادة الفقر النسوي

- ضعف الحماية الاجتماعية

- إعادة انتاج الأدوار التقليدية

يتبين مماسبق أن فهم العمالة الهشة يظل ناقصا دون إدماج البعد الجندري،الذي يبرز كيف يتم توظيف النساء بشكل مكثف في القطاعات الأقل استقرارا،بما يخدم منطق الاقتصاد العالمي القائم على المرونة وخفض التكاليف.

ثامنا: النقد

رغم أهمية أعمال ساسن فقد تعرضت لعدة انتقادات منها:

- المبالغة في دور المدن
- إهمال الدولة
- التعميم غير ممكن

خاتمة:

تكمن أهمية تحليل ساسن في أنه يكشف الطابع البنيوي للهاششة المهنية، ويبين أنها ليست نتيجة فشل فردي، بل نتيجة مباشرة للتحولات الاقتصادية العالمية، ومن ثم فإن فهم العمالة الهشة يتطلب تحليل الاقتصاد العالمي ذاته وليس فقط سوق العمل المحلي.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...